ملامح جغرافية عن المقاهى القديمة

للعشائر فى مدينة العلا

بمنطقة المدينة المنورة

اعداد

د. ابراهيم سلمان المحفوظ

قسم الجغرافية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز

تقديم

يذكر ان القهوة التى استمد منها المكان اسمه، عرفت أولا فى الجزيرة العربية (Beeley, p475)، ومن أوائل الذين عرفوا شربها هو أبو بكر بن عبدالله (المعروف) بالعيدروس، إذ وجد أن شرب القهوة يجفف الدماغ ويجلب السهر وينشط العبد للعبادة، فاتخذها طعاما وشرابا وأرشد أتباعه إليها، اختلف الناس فقهيا حول شربها هل هو حلال أم حرام، لكن هذه المسألة حسمت فى بداية القرن العاشر الهجرى، وبذلك انتشرت مجالس شربها فى معظم دول الشرق الأوسط ودول حوض البحر المتوسط، وأطلق على الأمكنة التى تشرب فيها القهوة اسم المقاهى، ومفردها مقهى، (ليمير، ص٥-٦) .

ان مدلول لفظ المقاهى فى الشرق الأوسط يختلف حسب الزمان والمكان، لكنها تشترك فى مجموعة من الصفات، فهى المكان الذى يجتمع فيه الأصدقاء والمعارف من أجل قضاء وقت الفراغ والترفيه عن النفس وإن شرب القهوة يحقق أغراضا أخرى متعددة، فهناك مقاه فى القاهرة ترتادها فئات المثقفين، ومقاهى يجتمع فيها الفنانون والموسيقيون، كما أن هناك مقاه للصيف، ومقاه للشتاء، ومقاه أنيقة، ومقاه بلدية (عطا الله، ص١) ومقاه للقاء التجار والمقاولين، هناك أيضا مقاه للمهتمين بالسياسة (ليمير، ص١٢) حتى قيل ان عددا من الوزراء السابقين، ورئيس وزراء سابق تخرجوا من مقهى جامعة الخرطوم، كما تسبب هذا المقهى فى اسقاط حكومتين فى الخرطوم (الشرق

الأوسط،ص٦)، وهناك العديد من المقاهى العامة المنتشرة فى كل من تركيا وإيران، وتؤدى أغراضا اقتصادية متعددة (Beeley, P.475) .

ولقد عرفت الجزيرة العربية نوعين من المقاهى، احداها مقاه عامة تجتمع فيها فئات مختلفة من الناس فى المدن لقضاء وقت الفراغ وشرب القهوة والتحدث مع الأصدقاء والمعارف وتبادل أخبار المجتمع، والأخرى مقاه أسرية أو عشائرية تختص باكرام الضيوف وتبادل وجهات النظر فى بعض القضايا التى تهمهم، ذكر الريحانى (ص١٢٤) فى زيارة له لمدينة عنيزة "ان قاعة الاستقبال عندهم تدعى القهوة" ، كما زار (دوتى وفلبى وهاملتون) اثناء وجودهم فى مدينة عنيزة، العديد من مقاهى هذه البلدة (الثنيان، ص ٩٠) .

مقاهى العشائر فى العلا القديمة:

لم يعاصر الباحث مقاهى العشائر المتحضرة فى العلا القديمة بالطبع، لكن كثرة الاستماع إلى ما كان يدور فيها فى الماضى، من كبار السن المعمرين الذين عاصروا أو سمعوا عنها، شد الباحث كثيرا لإجراء هذه الدراسة، كما أنه لوحظ أن هذه المقاهى التى أسهمت فى الماضى فى الحفاظ على كيان العلا الاجتماعى والاقتصادى والأمنى، بدأت أدوارها وانجازاتها تدخل فى غياهب النسيان، بل أن القهوة[1] كمبنى وكوظيفة لم يعد لها من وجود فى الوقت الحاضر فقد أصبحت من تراث الماضى، ولم يتذكر فضائلها وأدوارها

(١) القهوة هى مكان شرب القهوة، والمقهى هو مكان عام يقدم فيه شرب القهوة (مصطفى، مادة القهوة) .

وانجازتاتها الا نفر قليل من الرجال المعمرين، ومع ذلك فإن ما عرفه أولئك المعمرون من الرجال معرض للنسيان بعد وفاتهم، أما أجيالنا المعاصرة، فلا يكاد البعض منهم يعرف عنها سوى اسمها المحلى (القهوة) ولكن بالمفهوم الترفيهى العام المتعارف عليه حاليا فى بيئات المدن .

ان القهوة القديمة فى العلا لم تكن مجرد مقهى عادى يلتقى فيه الأصدقاء والمعارف للاستمتاع بالأحاديث الشيقة وشرب القهوة فقط، وانما هى بالإضافة الى ذلك، مؤسسة أدت أدوارا عديدة، بعضها اجتماعى، اختص بإيجاد حلول للمشاكل الاجتماعية التى كانت تواجه السكان فى حياتهم اليومية آنذاك بعضها الآخر اقتصادى يتعلق باستخراج العيون وإدارة موارد المياه التى اعتمد عليها السكان فى معاشهم، والبعض الآخر أمنى لحفظ الأمن والنظام لعدم وجود حكومة ترعى كل هذه الاحتياجات قبل تأسيس المملكة العربية السعوية وانضمام العلا لها عام ١٣٤٤هـ .

وتكمن أهمية هذه الدراسة فى أن مجلس القهوة القديم فى العلا كان يسجل فيه وثائق خطية لتوثيق بعض الأحداث الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التى كان يتم تداولها فى ذلك المقهى، يقال أن ما لدى عشيرة واحدة فقط من عشائر العلا ما يزيد على ثمانمائة وثيقة[1] مخطوطة فى مختلف

---

(١) اتصال شخصى مع نواف بن عبدالدايم الحربى، أحد أحفاد الشيخ سعيد بن أحمد بن عبدالدايم، شيخ عشيرة الحمد، بتاريخ ١٤١٩/٨/٢٤هـ .

الموضوعات، هذا يعنى أن تاريخ العلا الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والأمنى لتلك الفترة (١١٠٩-١٣٤٤هـ) محفوظ جله فى تلك الوثائق إن أى دراسة عن العلا فى تلك الموضوعات، فى تلك الفترة لابد أن تعتمد أساساً على تلك الوثائق كمصدر، إن المشكلة هى أنه على الرغم من توفر مئات الوثائق التى كتبت فى العديد من مجالس المقاهى القديمة، الا أن مئات أخرى منها تعرضت للتلف والإهمال أو حتى الحريق[1]، خاصة بعد انتقال سكان العلا من (العلا القديمة)، حيث كانت توجد مجالس المقاهى، الى منطقة الصخيرات (العلا الحديثة)، علاوة على ذلك فإن امكانية الاطلاع على تلك الوثائق المتوفرة لدى بعض الأسر، أمر مشكوك فيه والمشكلة الثانية تكمن فى ان الكثير من المعلومات الشفهية عرضة للضياع، بسبب وفاة الرواة من كبار السن، لهذا وذاك، كان لابد من تدارك ما يمكن تداركه وجمع ما يتيسر جمعه من معلومات ووثائق عن مجالس المقاهى القديمة وتسجيلها وتفسيرها وتحليلها لتبقى إرثا حضاريا وتجربة انسانية رائدة عكست الكيفية التى توائم الإنسان فيها مع بيئته الطبيعية والبشرية فى العلا القديمة وواءم نفسه معها من أجل عمران الأرض .

وهذه الدراسة تختلف عن تلك الدراسات المذكورة من حيث المكان فهذه دراسة اختارت مدينة العلا القديمة (الديرة) التابعة لمنطقة المدينة المنورة

---

(١) اتصال شخصى مع ابراهيم بن محمد بن ناصر، شيخ عشيرة النافع، بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٥هـ

(شكل رقم ١) كمكان لدراسة تراث العشائر، ولم يسبق أن درس هذا الموضوع في هذه البلدة من قبل حسب علم الباحث من حيث الزمان، فالدراسة محصورة في الفترة من (١١٠٨-١٣٤٤هـ) فالوثائق المتوفرة عن هذه المقاهي محصورة في هذه الفترة فقط، كذلك فإن بعض المعمرين الرجال الذين أجريت معهم المقابلات في الدراسة الحقلية قد عاصروا بعضا من تلك المقاهي في آخر الفترة المذكورة، أما من حيث الموضوع فالدراسة هذه تركز على نشأة وتطور مقاهي العشائر القديمة في العلا وتوزيعها على خريطة العلا القديمة، هذه الدراسة تستعرض باختصار الأدوار المختلفة التي كانت تؤديها هذه المقاهي لسكان مدينة العلا في الماضي خلال تلك الفترة .

وتجدر الإشارة الى أنه تم الاحتفاظ بالمسمى التقليدي الموروث لهذه المنشأة (القهوة) لأن هذه التسمية لها جذورها اللغوية الموثقة[1]، إن سكان العلا اعتادوا أيضا على هذه التسمية منذ القدم، وهو الاصطلاح المتعارف عليه بين السكان في الماضي، وعلاوة على ذلك فإن جميع الوثائق التي دونت في مجلس قهوة العشيرة القديم، وما أكثرها، استخدمت هذا المصطلح فقط دون غيره، عموما يكاد يجمع جميع سكان المدن في المملكة على استخدام هذا المصطلح، وربما في كل أرجاء الوطن العربي، ومع ذلك يلاحظ استخدام اصطلاح (المقهى وجمعه المقاهي) عندما يكون الحديث عاما عن القهوة كمكان عام تشرب فيه القهوة .

---

(١) القهوة هي مكان شرب القهوة مجازا (البستاني، ص٦١٨) .

والهدف الأساسى لهذه الدراسة هو محاولة تحديد بعض عوامل النشأة والتطور لهذه المنشأة، وتوضيح دورها آنذاك، فى ايجاد حلول عملية للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التى كانت تواجه السكان فى العلا القديمة فى تلك الفترة، تهدف هذه الدراسة أيضا إلى إبراز الكيفية التى تواءم فيها أسلافنا فى العلا مع بيئتهم الطبيعية والبشرية، فمن أجل ذلك تقدم هذه الدراسة مقاهى العشائر القديمة فى العلا كتجربة انسانية فريدة تبين دور الإنسان فى بيئته .

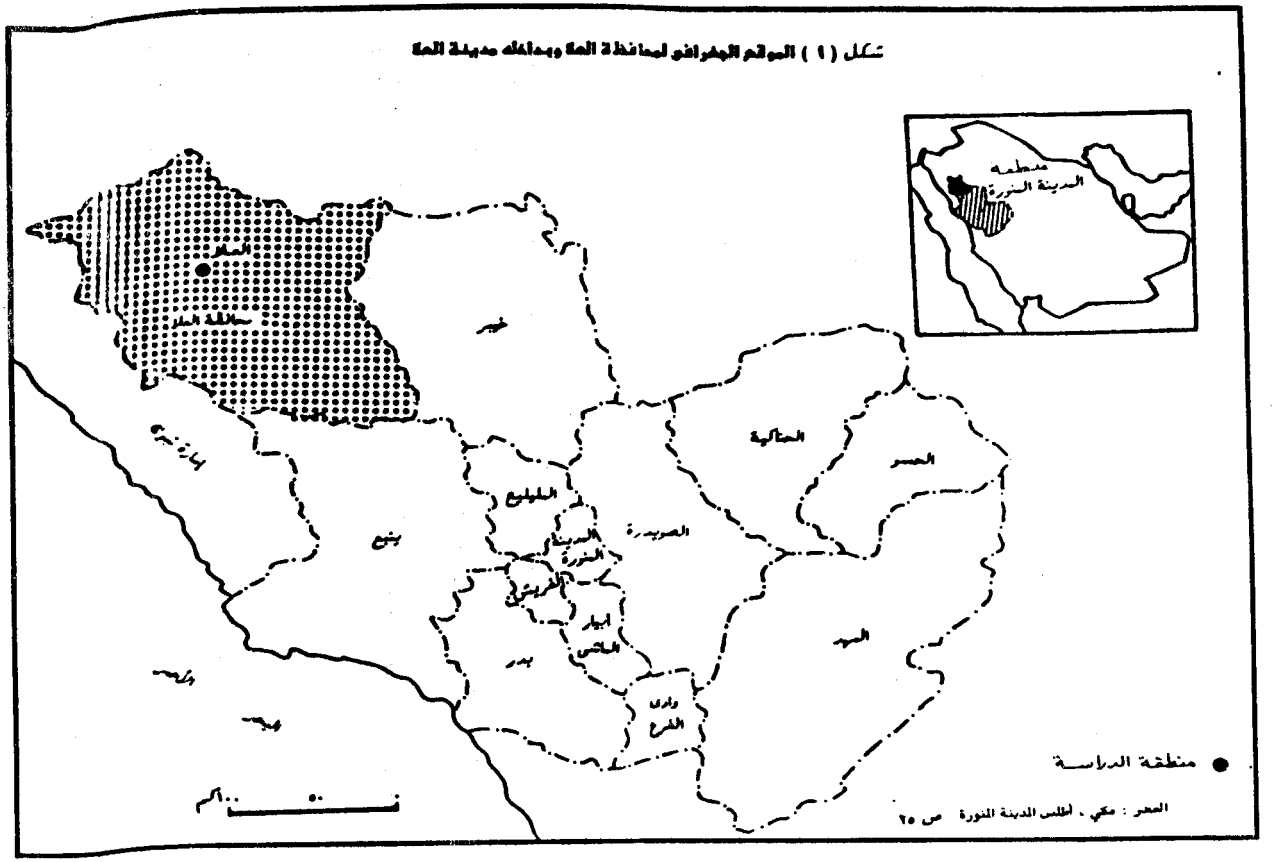
شكل (١) المواقع الجغرافي لمحافظة العلا وبمدلك مدينة العلا
منطقة المدينة المنورة
العلا
سالفة العلا
خيبر
العيص
الحناكية
الصويدرة
الحمراء
المدينة المنورة
ينبع
بدر
وادي الفرع
منطقة الدراسة
المصدر : مكي ، أطلس المدينة المنورة ص ٢٥

الاختلاف بين مقاهى العشائر فى العلا والمقاهى الأخرى:

ان المقاهى القديمة فى مدينة العلا كانت مختلفة تماما، وظيفيا وبنائيا وموقعيا، عن مثيلاتها فى الوطن العربى، فهى مقاهى خاصة للنخبة من الناس المرحب بهم، لا تباع فيها القهوة ولا الشاى[1] ولا الطعام، بل يقدم أهلها الكرم بالصفوة والنخبة والأعيان أما من الناحية العمرانية فالمقهى يمثل (أوسع غرفة فى منزل صاحب المكان) وتفتح مباشرة على الطريق العام .

إن مقاهى العلا وبالأحرى القهاوى[2] عبارة عن مجالس عشائرية من نوع آخر، رغم نعتها محليا بالقهوة، يتم فيها احتساء القهوة وتبادل الأحاديث الاجتماعية بين النخبة من أفراد العشيرة والأصدقاء والمعارف والجيران، ويتم فيها اكرام الضيوف والتشاور بين ذوى الرأى فيما يخص أمور العشيرة، وسماع الأخبار، وتبادل الآراء، وسن القوانين، ووضع الأنظمة، والإعداد للأفراح والمناسبات، وتقام فيها احتفالات صلاة الاستسقاء، وتفرض فيها الجزاءات ضد مخالفى الأنظمة والقوانين المرعية فى المجتمع، وتحل فيها المشكلات بين المتخاصمين، ويتم فيها تداول مهمام استخراج عيون الماء، وتدار من خلالها موارد المياه، وينظم الأمن، وتعقد فيها الأحلاف والمعاهدات، وجميع مصالح السكان فى مدينة العلا كانت تدار من خلال هذه

---

(١) لم يعرف الشاى فى العلا الا منذ مئتى سنة فقط (الفينى ، ص٣) .

(٢) القهاوى جمع قهوة حسب الاستعمال الشائع بين الناس والصحيح هو (القهوات) ومفردها (القهوة) وهى مكان شرب القهوة مجازا (البستانى ، ص٦١٨) .

المقاهى العشائرية القديمة حسب متطلبات المجتمع آنـذاك، وطبقـا لمقتضيـات الظروف الزمنية والمكانية، انها حقا مقاهى مختلفة تماما عن المقـاهى العامـة الأخرى فى مدن الشرق الأوسط، وتشبه فى أدائها لكل تلـك الوظـائف مجلـس شورى للعشائر المتحضرة فى مدينة العلا القديمة (مقابلات مع ابن عيسى فـى ١٤١٩/٣/١٤هـ ، ومـع ابـن صقـير فـى ١٤١٩/٥/١٠هـ ، ومـع الغيثـى فـى ١٤١٩/٥/١٣هـ، ومع ابن حسين وابن نوح فى ١٤١٩/٥/١٤هـ)، وقد كانت كل هذه المـهمات تتـم فـى مقـهى او مجلـس العشـيرة بسـبب عـدم وجـود سـلطة حكومية قادرة آنذاك، على رعاية أمن السكان، وحفظ النظام ونشر العدل بـين الناس، وتدبير مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، وبالتـالى اصبحـت مقـاهى العشائر او مجالس العشائر مجالس للنظـر فـى كـل تلـك الأمـور متحملـة كـل مسئولية سكان العلا القديمة .

الهيكل التنظيمى لمقاهى العشائر فى العلا القديمة:

يتألف الهيكل التنظيمى لسكان العلا من خمسـة عشـر عشـيرة[1]، شـكل رقم(٢) فهى تنتمى للعديد من القبائل العربية التى وصلـت واسـتوطنت العـلا لفترات طويلة، ونظرا لأنها عشائر صغيرة، استوطنت بين قبائل كبـيرة مثـل

---

(١) ينتمى سكان العلا الحاضرة الى مجموعة متعددة من القبائل العربية مثل قبائل حرب، وجهينة، وشمر، وعنزة، وبنى تميم، الدواسر، وبنى صخر، وبنى عذرة، والأشراف القرون، وبعضـا مـن سـادة مكـة المكرمـة والمدينة المنورة، وآخرون من بنى شيبة سدنة بيت الله العتيق، بالاضافة الى بعض الأسر العربيـة التـى قـدم أسلافها من خارج حدود المملكة العربية السعوية ،لمزيد من التفاصيل،أنظر (نصيف،١٤١٦،ص٥٦-٧١) .

قبيلة (عنزة) وقبيلة (بلى) بعيدة عن قبائلها الرئيسية التى تنتمى لها فقد كان الأمن هو هاجسها الأعظم آنذاك، لذا فقد وعت هذه العشائر مجتمعة، رغم انتماءاتها القبلية المتعددة، الاخطار التى تحيط بها وأدركت المصالح المشتركة التى تجمع بينها فتناست خلافاتها، إن كانت بينها خلافات، والفت فيما بينها رابطة أمنية واجتماعية واقتصادية قوية وحدتها (العشيرة)، وجعلت لكل عشيرة شيخاً يتم اختياره من بين أفراد عشيرته، يتصف برجاحة العقل، وسداد الرأى، وقوة البيان، والشجاعة، والكرم والعدل، وان يكون من الميسورين ماليا، ذا مكانة اجتماعية بارزة ومحترمة داخل عشيرته وعند العشائر الأخرى، ولكى يقوم كل شيخ برعاية مصالح عشيرته، فقد أنشأ لنفسه مجلسا سماه (قهوة) تحمل اسمه، للتشاور، وتبادل الرأى فيما يهم العشيرة . وأحيانا يجتمع فيه مع شيوخ العشائر ونوى الرأى من أفراد العشائر الأخرى، لتدارس الأوضاع الأمنية، والاجتماعية والاقتصادية، من أجل حل مشاكل العشيرة أو العشائر الأخرى واستعراض افراحهم، واحزانهم، وآمالهم، وتطلعاتهم المستقبلية .. وجميع الأمور التى تمس العشيرة والعشائر الأخرى، من أجل الوصول الى افضل القرارات التى تخدم العشيرة بشكل جيد ضمن مصالح بقية العشائر الأخرى بالعلا، وربما للعشيرة الواحدة اكثر من مقهى، فالى جانب قهوة شيخ العشيرة توجد أعداد أخرى من المقاهى يملكها أفراد آخرون من العشيرة المقتدرين، أو الذين لهم

جاه بين أفراد عشيرتهم، أو الذين يطمحون فـى مشيخة العشيرة مستقبلا، فبالاضافة إلى أدوار القهوة السابقة الذكر، فالمقـهى يمثـل فـى الواقـع واجهـة اعلامية يبرز اسم صاحبه، إذ يكفى أن يقال (قهوة الشيخ فـلان) لكـى يشـيع اسمه، وتتناقله الألسن ليس فقـط بـين أفـراد عشيرته، بـل أيضـا بـين أفـراد العشائر الأخـرى وقـد لوحـظ ذلـك مـن خـلال المقـابلات التـى أجريـت خـلال الدراسة الميدانية فى الفترة مـن ٣/١٤ - ١٤١٩/٥/١٥هـ ، وبـالطبع فـان تلـك العشائر الخمس عشرة التى يتألف منها الهيكل التنظيمى لسكان العلا تتـوزع مكانيا، بين منطقتين هما :

١- حى (الحلف) أو العلا الجنوبية وتتركز فيها تسع عشائر .

٢- حى (الشقيق) أو العلا الشمالية وتتركز فيها ست عشائر .

شكل رقم (٢) الهيكل التنظيمي لمقاهي شيوخ العشائر في العلا القديمة (الديرة) قبل عام ١٣٤٤هـ

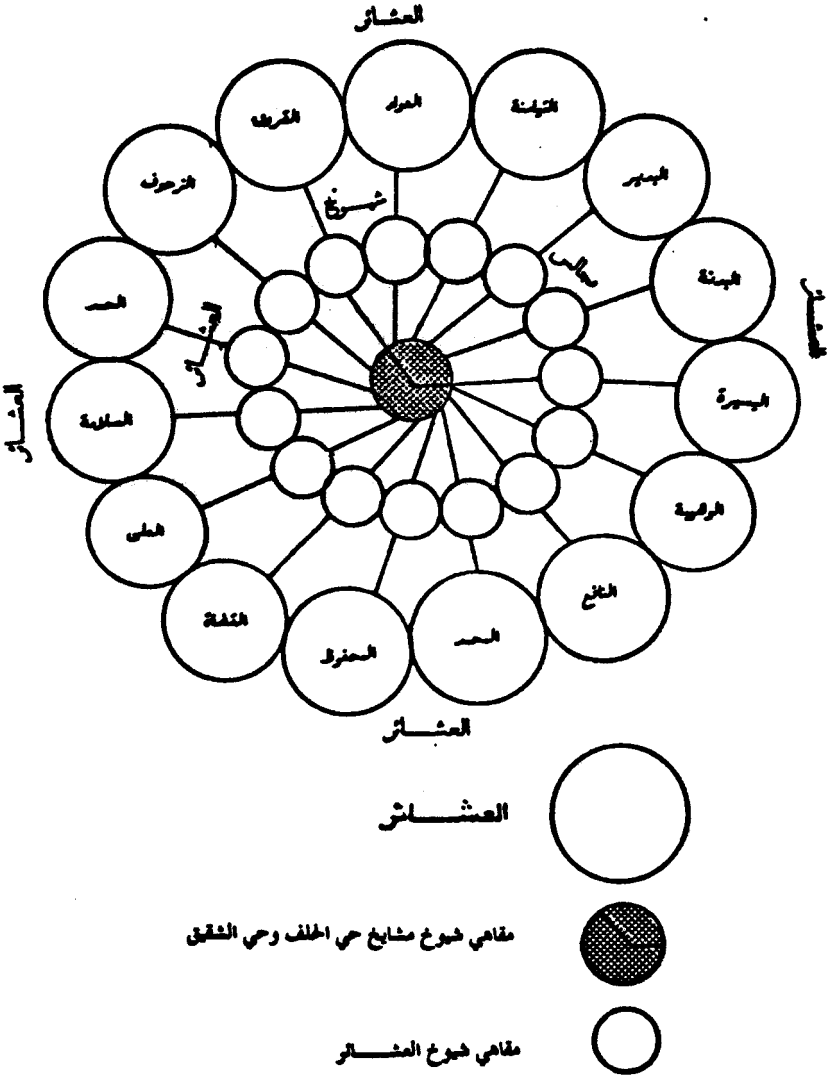

المصدر: من اعداد وتصميم الباحث استناداً على المعلومات التي جمعت عن مقاهي العلا القديمة خلال الدراسة الميدانية في الفترة من ١٤٣/٣هـ - ١٤١٩/٥/١٥هـ

وفى ظل غياب حكومة مركزية قبل عام ١٣٤٤هـ[1]، قام سكان العلا القديمة بإدارة شئونهم بانفسهم، حيث يختار فى العادة مشايخ عشائر حى (الشقيق) احدهم أيضا ليتقلد منصب (شيخ مشايخ) أو حاكما على منطقته، كما يختار مشايخ عشائر حى (الشقيق) أحدهم أيضاً ليتقلد منصب (شيخ مشايخ) أو حاكما على ناحيته (نصيف، ١٤١٦هـ ص ٥٧) ويساعد عضوان يتم اختيارهما من قبل شيوخ عشائر كل حى، الحاكم (شيخ المشايخ) الذى اختاروه فى إدارة شؤون منطقتهم مكونين بذلك مجلسين للحكم أحدهما لحى الحلف والآخر لحى الشقيق ليصبح عدد أعضاء المجلسين ستة أعضاء، وبالتنسيق بين المجلسين تتم مناقشة شئون الأمن، وإدارة الشئون الاجتماعية والاقتصادية والدفاعية فى جميع أحياء العلا المذكورة، لكن هذين المجلسين يعتمدان فى قراراتهما على ما يتم التوصل اليه من مناقشات فى مجالس مقاهى العشائر فى الحيين، فإذا تمت الموافقة، على تلك القرارات فى المجلسين المذكورين تصبح نافذة وملزمة وتطبق على جميع قاطنى مدينة العلا القديمة (الديرة)، وتجدر الاشارة ان سلطات المجلسين مترابطة، وبمجرد انتهاء فترة الحاكم أو الأعضاء، يجدد لهما أو يتم استبدالهما باختيار، آخرين (ملاحظات شخصية من واقع المقابلات التى تمت خلال الدراسة الميدانية فى الفترة من (٣/١٤ - ١٤١٩/٥/١٥هـ) .

---

(١) انضمت العلا للحكم السعودى فى ذلك العام (عبدالكريم ١٤١٤هـ ، ص ٣٧) .

كيفية عمل مقاهى العشائر القديمة :

ان سكان العلا القديمة، مدينون لاستمرارية وجودهم لهذه المؤسسة المسماة (القهوة)، ان قهوة العشيرة هذه ليست مقهى كبقية المقاهى العامة المنتشرة فى مختلف مدن الشرق الأوسط أو حتى فى المملكة العربية السعودية يحتسى فيها الشاى أو القهوة فحسب، بل هى مجلس خاص للتشاور، أدى العديد من الأدوار الوظيفية الحيوية لسكان العلا قديما كالوظائف الاجتماعية والاقتصادية والادارية والأمنية والعسكرية والسياسية اضافة الى الوظيفة الترفيهية، كانت تناقش فى مجالس المقاهى كل الأمور التى تهم العشائر المستقرة القاطنة فى مدينة العلا القديمة .

إن الوظيفة الترفيهية كانت تتم فى المقهى، وفى الغالب، بدون دعوة مسبقة، أما الحضور لمداولة أمر من الأمور الحيوية التى تهم العشيرة والعشائر الأخرى، فتتم بدعوة مسبقة من شيخ العشيرة، أو صاحب تلك القهوة حيث يبلغها مناد يتجول فى الأسواق[1] ماشيا قاصدا أماكن تجمع الناس، فى الرحاب[2] والأسواق، معلنا، شفاهة، وبصوت واضح ومسموع، أن الشيخ فلان يبلغكم أن اجتماعا سوف يعقد فى قهوته فى يوم (ويسمى اليوم)

---

(١) السوق لغة يعنى الموضع الذى يجلب اليه المتاع والسلع للبيع والشراء (مصطفى، مادة السوق)، كما يعنى عرفا طرقات العلا القديمة الرئيسة والتى قد تخلو من المتاجر أيضا (ملاحظات شخصية) .

(٢) الرحاب جمع رحب وهى لغة الأرض الواسعة، ورحبة المكان هى ساحته ومتسعه، وتجمع أيضا على رحب،(مصطفى المعجم الوسيط، مادة: الرحبة)، والرحبة عرفا: هى المكان الواسع الذى تلتقى فيه طرقات مدينة العلا القديمة، وتقام فيه المتاجر ويتجمع فيه السكان للبيع والشراء، وتبادل الأحاديث (ملاحظات شخصية) .

لمناقشة موضوع (ويذكر اسم الموضوع) إذا كان من الموضوعات التى لا حرج من ذكرها وممن اشتهر من الذين عملوا فى وظيفة المنادى عوده غازى، وشخص آخر يدعى ابو عتيق، (ابن عيسى فى ١٤١٩/٣/١٤هـ) وفى يوم الاجتماع تقدم القهوة العربية والتمر، أما الشاى فانه حسب رواية ابن عيسى لم يعرف فى العلا إلا فى وقت متأخر، وقد حدده الغيثى بمئتى سنة (الغيثى ص٣) ، ثم تبدأ الجلسة برعاية شيخ العشيرة الداعى لهذه الجلسة فى مناقشة الموضوع المطروح للنقاش، وبعد تبلور اتجاه آراء الحضور، يكتب فى نهاية الجلسة، محضر يشتمل على العناصر التوثيقية التالية:

١- اسم القهوة التى تم فيها الاجتماع .

٢- عنوان الموضوع الذى نوقش فى الجلسة .

٣- نص القرار الذى تم الوصول اليه .

٤- اسماء الحضور واسماء العشائر .

٥- يذيل المحضر باسم من قام بكتابته .

٦- يحدد فى نهاية المحضر التاريخ الذى انعقدت فيه الجلسة،شكل رقم (٣)

٧- تكتب أكثر من نسخة من المحضر، قد تكون نسختان او ثلاث نسخ، حيث تودع نسخة لدى شيخ العشيرة الذى تم الاجتماع فى (قهوته)، ونسخة أو أكثر لدى شيوخ بعض العشائر الذين حضروا الاجتماع، وذلك خشية ضياع أو تلف النسخة الأصلية .

ويكون القرار الذى تم الوصول اليه فى الجلسة ملزما لجميع أفراد العشيرة إذا كان الموضوع مقتصرا على عشيرة بعينها، أو ملزما لجميع أفراد العشائر الأخرى ذات الصلة بالموضوع بمجرد إبلاغه بواسطة شيخ مشايخ كل حى لشيوخ تلك العشائر (مقابلات متعددة مع ابن عيسى فى ١٤١٩/٣/١٤هـ ، وابن صقير فى ١٤١٩/٥/١١هـ ، وابن حسي فى ١٤١٩/٥/١٤هـ ، والغيثى فى ١٤١٩/٥/١٣هـ) .

شكل (٣) إنموذج لوثيقة كتبت في عام ١١٠٨هـ في قهوة القاضي أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن سليمان
مشتملة على العناصر التوثيقية الموضحة في هذه الوثيقة

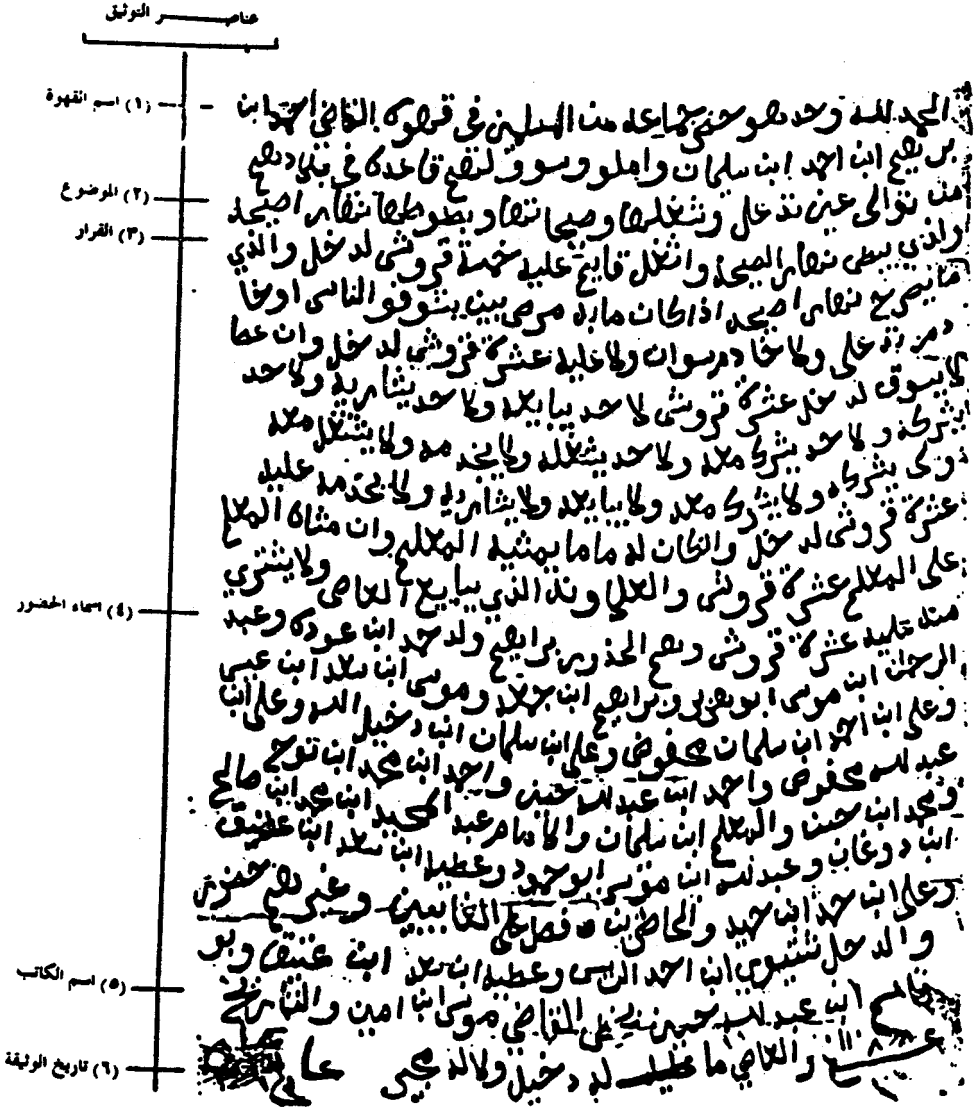

بعض عوامل نشأة مقاهى العشائر فى العلا القديمة :

تجدر الاشارة الى ان تصريف أمور الأمن والدفاع وسائر أمور الحياة والمعاش قبل عام ١٣٤٤هـ ، كان يتولاه مشايخ العشائر فى العلا من خلال مجالس أنشأت لغرض التشاور وتبادل الآراء ووضع الأنظمة والقوانين الملائمة لأغراض الأمن والرى والزراعة والعدل بين الناس وفرض الجزاءات .. وغير ذلك من متطلبات المجتمع حينذاك، هذه المجالس هى ما سمى محليا بـ (القهاوى) والاصح المقاهى أو مجالس العشائر، ويبدو أن سبب نشأتها فرضته الظروف الأمنية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت سائدة فى العلا القديمة، والسبب يعود الى عدم وجود حكومة مركزية قوية قادرة على بسط نفوذها وفرض الأمن وحفظ النظام فى العلا وما جاورها، وفيما يلى نورد بعض العوامل التى يعتقد أنها مسئولة عن نشأة المقاهى أو مجالس العشائر فى العلا القديمة .

١- انعدام الأمن :

إن انعدام الأمن سمة لازمت مختلف مناطق الجزيرة العربية قبل تكوين المملكة العربية السعودية، حيث كانت الجزيرة العربية مجزأة بين العديد من الأمراء المتنافسين المستقلين، فآل سعود فى الدرعية ثم فى الرياض، وآل الرشيد فى حايل، وآل عريعر فى الاحساء، والأشراف فى مكة المكرمة والمدينة المنورة، والأدارسة فى عسير، وآل عايض فى ابى عريش، وآل رمان

فى تيماء .. وهكذا ، إن سلطة هـؤلاء الأمـراء قـد لا تتجـاوز أسـوار مدنـهم، وبقيت الأراضى خارج أسوار تلك المدن تحت سيطرة البدو الذيـن هـم أنفسـهم ضحية ظروف بلادهم الطبيعية، فكثيرا ما تتعرض ديـارهم للقحـط والجفـاف مما دفع بهم الى مهاجمة المدن والقرى المجـاورة لديـارهم للحصـول علـى مـا يقتاتون به حتى لو أدى ذلك الى إراقة الدماء أو فقدان الأطراف لذا كـان لزامـا على سكان كل مدينة أو قرية حماية مدنهم وقراهم بكل الوسائل والاجـراءات الممكنة، إن هذا هو ما يفسر سر إحاطـة معظـم مـدن وقـرى الجزيـرة العربيـة بأسوار حصينة وأبراج للمراقبة وأبواب للمدن والقرى تفتح نـهارا وتغلـق فـى المساء، فالرياض، والمدينة المنـورة، والهفـوف، وتيمـاء، والعـلا، كلـها مـدن كانت فى الماضى مسورة (ملاحظات شخصية) .

والعلا واحدة من تلك المسـتوطنات التـى ابتليـت بـانعدام الأمـن حيـث لا توجد سلطة حكومية مسئولة توفر الأمن وتحمى السكان من الأخطار المحدقة بهم، فالمرء قد لا يأمن على نفسه ولا على ماله حتى فى عقر داره، وقد وصف (Doughty P.147) الحالة الأمنية فى العلا أثناء زيارته لها، فى الفترة مـن ٢٧ ديسـمبر ١٨٧٦م الى ٦ ينـاير ١٨٧٧م) الموافقـة (١١ إلى ٢١ ذو الحجـة ١٢٩٣هـ)، بأن الناس يتنقلون داخل أسـواق العـلا مسلحين إمـا بالسـيوف أو الرماح القصيرة او النبوت[1]، حتى عندما يذهبون الى الصلاة فـى المسـاجد، إن

---

(١) النبوت هو سلاح حجازى مصنوع من خشب قوى شديد الصلابة (Dought, P.145) .

حالة انعدام الأمن آنذاك دفعت بالسكان، رغم اختلاف انتماءاتهم القبلية، إلى تبنى نوعا من التماسك والترابط والتلاحم بين مختلف العشائر، وذلك من أجل التلاؤم والتكيف مع ظروف البيئة العدائية فى العلا وما حولها، ومن بين عناصر التلاحم التى جمعت ووحدت السكان فى مجموعات عشائرية مترابطة ومتلاحمة هى :

التلاحم فى المجالات الأمنية:

دفع انعدام الأمن فى العلا قبل عام ١٣٤٤هـ ، العشائر للالتفاف حول بعضهم، إذ نشأت بينهم رابطة قوية من التلاحم والتكاتف الأمنى، جمعت ليس فقط أفراد العشيرة الواحدة حول بعضهم، وانما التقت جميع عشائر العلا فيما يشبه الاتحاد لمقاومة التهديدات الأمنية المحيطة بهم، ولهدف تعزيز الأمن داخل العلا وفى هذا مصلحة أكيدة للسكان آنذاك، فقد توج هذا الاتفاق بتلاحم العشائر مع بعضها مكانيا فى مقاهى شيوخ العشائر وأنتج هذا التلاحم فى المقاهى، ترتيبات أمنية وتنظيمات برزت نتائجها على أرض الواقع، وحققت الكثير من الأهداف الأمنية والتى يمكن اجمالها فيما يلى:

١- صممت خطط بنائية أمنية للعلا، ممثلة فى احاطة العلا بسور ضخم تقع فى داخله جميع منازل السكان، وجعلوا الدخول والخروج الى العلا يتم من خلال أربعة عشر بابا (نصيف، ١٤١٦هـ ، ص٤٦) ، وفى رواية خمسة عشرة

بابا ضخما يغلق أثناء الليل، ويفتح اثناء النهار (عبدالكريم، ١٤١٤هـ ، ص٤٧) .

٢- أقاموا منازلهم من الحجارة حيث بنيت على جوانب أزقة ضيقة ومتعرجة لا يعرف التنقل فيها إلا أهلها، فكيف بالغريب .

٣- اتفقت العشائر فى المقاهى على ترتيبات أمنية وزعت أدوارها ومهامها على العشائر المستقرة فى العلا بحيث أصبحت المهام الأمنية تناط بالعشائر حسب موقع كل عشيرة داخل أسوار العلا القديمة .

٤- اتفقوا فى مجالس المقاهى على وضع تدابير وخطط دفاعية مناسبة، ممثلة فيما يمكن أن يشاهده المرء فى بقايا تلك الإجراءات العمرانية التى بقيت آثارها حتى وقتنا الحاضر، ممثلة فى جدار حجرى قديم بنى فى الناحية الشمالية من العلا، حيث كان يمتد من الجبل الشرقى الى الجبل الغربى، قاطعا وعازلا شمال وادى القرى بحيث تقع العلا، عن جنوبه والذى يسمى محليا (جدار السبعة) يعتقد أنه بنى فى عام ١٣٠٩هـ لصد غزو على العلا كان محتملا من ابن الرشيد (حاكم إمارة حائل)، ويشاهد المرء أيضا جدارا آخر يحيط بالعلا ومزارعها من الناحية الجنوبية، كما أن بقايا آثار بعض القلاع التى بنيت باللبن و الحجارة على مسافات فى السور الجنوبى شاهد آخر على انعدام الأمن ، فضلا عن القلاع الأخرى المنتشرة فى الوادى وحيثما وجدت المزارع (عبدالكريم، ص٣٠ و ٣١) .

يعتقد أن نظام تصريف أمور العشائر فى ذلك الوقت، تطلب انشاء مقاهى أو مجالس استشارية لكل عشيرة، طبقا لمقتضى الحال، فالحاجة هى أم الاختراع، وربما انشأت المقاهى أو مجالس العشائر لتملأ الفراغ الذى أوجده غياب السلطة الحكومية القادرة على بسط النظام وحفظ الأمن فى العلا وما حولها، على كل حال، فقد قامت هذه المقاهى أو المجالس بدور السلطة الحاكمة وأمنت سبل حماية السكان وممتلكاتهم وذلك بالتعاون والتضامن بين مجموعات العشائر المختلفة، خاصة وأن العلا هى منطقة الاستقرار الخصبة الوحيدة القادرة على انتاج ما يكفى سكانها من الغذاء وسط مساحة واسعة من الأراضى المجدبة التى تسكنها القبائل البدوية المتنقلة، بعد أن تأكد السكان من جدوى مجالس المقاهى فى إدارة شئون الأمن، عقدوا اجتماعات أخرى مماثلة فى مجالس المقاهى للنظر فى إدارة شئونهم الاقتصادية والمتمثلة فى استخراج عيون الماء وادارة مواردها .

دور المقاهى فى إدارة موارد المياه :

لقد حبا الله العلا بعدد كبير من عيون الماء التى يربو عددها على ثمانين عينا (الامام (د.ت) ، ص٨٦) ، إنها عيون أثرية قديمة توجد عادة بالصدفة مدفونة تحت الأرض، صممت بشكل هندسى رائع لكن لا يعرف من صممها ولا متى صممت إن دور السكان كان يقتصر على اكتشافها بالصدفة، ومن ثم الإعلان عن الاكتتاب فيها من أجل تنظيف مجاريها المدفونة من الأتربة الى أن يخرج الماء جاريا على سطح الأرض .

إن مهمة استخراج تلك العيون، عملية شاقة ومحفوفة بالمخاطر، وقد تستغرق سنوات من العمل المضنى، وأحيانا تفشل المحاولة لأى سبب من الأسباب، كما إنها قد تتطلب قدرا من الصبر والجهد والتعاون بين المساهمن فى استخراج تلك العيون، ويقوم رئيس العين المنتخب من بين المساهمين بعقد اجتماعات متعددة فى مقاهى بعض شيوخ العشائر، حيث يتم فى تلك الاجتماعات تقسيم العمل وتنظيمه، وأحيانا يكون الاجتماع لغرض الاتفاق على الأنظمة والقوانين والتى يتضمن تطبيقها استمرارية سير العمل فى استخراج تلك العيون، ومن أجل ضمان استمرارية تدفق العيون بالمياه، يتم الاجتماع مرات متعددة فى أوقات مختلفة من السنة حسبما تتطلبه ظروف العمل فى تلك العيون، بعض الاجتماعات تكون فى البداية من أجل المناقشة ووضع معايير عادلة لتقسيم الأراضى والمياه على المساهمين وبعضا من الاجتماعات تخصص لحل بعض المشكلات الطارئة فى العمل، وأحيانا تكون لفض الخصومات بين المساهمين . وتعقد اجتماعات أخرى من أجل تدارس أمور الصيانة، وأحيانا لغرض فرض جزاءات على المخالفين والمقصرين فى واجباتهم .. وهكذا، كلما دعت الحاجة يقعد اجتماع أو اجتماعات فى تلك المقاهى (مقابلات شخصية خلال الدراسة الميدانية فى الفترة من ١٤١٩/٣/١٤هـ - ١٤١٩/٥/١٥هـ) .

بلاشك فإن اعتماد السكان على الزراعة التى اعتمدت على تلك العيون، تطلب انشاء المقاهى المتعددة لتخدم مصالح السكان فى تلك العيون، كما أن المقاهى أنشأت لتكون مركزا مكانيا لتبادل الآراء، وبذلك فان نشأة المقاهى لم تخدم فقط شئون الأمن، وانما خدمت أيضا الشئون الاقتصادية للعلا القديمة، إن الأدوار التى لعبتها مجالس المقاهى فى استخراج العيون وإدارة موارد المياه فيها، تعكس أحد الجوانب الاقتصادية لدور القهوة فى اقتصاد العلا الزراعى، وهذا ما يؤكد تماسك السكان اقتصاديا وترابطهم نظريا وأيضا يعكس تعاونهم الفعلى والعملى والذى كان يتم عن طريق تلاحم السكان فى اجتماعاتهم المتعددة فى مقاهى العشائر المختلفة، إن تلك الاجتماعات كانت تعقد فى مجالس المقاهى من أجل تبادل الآراء حول أفضل السبل لرعاية المصالح المعيشية التى كان يعتمد عليها السكان آنذاك .

الحجم المساحى للمنازل القديمة فى العلا (الديرة) :

إن ضغط الاحتياجات الأمنية، وضعف الامكانيات الاقتصادية، وبساطة الاساليب المعيشية، قبل العهد السعودى الميمون، أدت إلى إنشاء منازل صغيرة المساحة (٦م×٨م) فى المتوسط للدور الأرضى، إنها منازل متلاصقة ببعضها، مظلمة من الداخل لعدم وجود نوافذ فى الدور الأرضى باستثناء فتحة صعود الدرج، التى تسمح أحيانا بدخول بصيص من الضوء، وقدر بسيط من الهواء، عموما الهواء داخل المنزل راكد والمنازل بدون أحوشه .

تنتظم المنازل على طرق ضيقة هى أزقة متعرجة قد يصل عرض بعضها من متر ونصف إلى مترين، فى المتوسط ونادرا ما تصل سعتها ثلاثة أمتار، (الدراسة الميدانية بتاريخ ١٤١٩/٥/١٤هـ) هذه الظروف لم تمكن غالبية السكان من اقامة مقاهى واسعة داخل منازلهم لاستقبال أعداد كثيرة من الناس، إن منازل شيوخ العشائر وبعض القادرين الميسورين ماديا، فمنازلهم كبيرة المساحة فى الغالب إلى الحد الذى يمكن من إقامة غرفة كبيرة واسعة يفتح بابها على الطريق وتستخدم (كقهوة) أو مقهى لشيخ العشيرة أو لأحد أفراد العشيرة المقتدرين وتعرف باسم قهوة الشيخ (فلان)، تعقد فيها الاجتماعات لأغراض متعددة، وقد تم قياس أبعاد قهوة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله ظاهر بن نوح بتاريخ ١٤٢٠/٤/٢٨هـ فوجد أنها ٩×٣,٥ مترا .

أدوار المقاهى فى تنظيم الشئون الاجتماعية للعلا القديمة :

لكل مجتمع مشاكله الخاصة التى تعمل على زعزعة تماسك السكان وتخلخل روابطهم الأسرية ان لم توجد لها حلول جذرية مناسبة ومقبولة من ذلك المجتمع، وفى العادة تقوم الحكومات المختلفة بإنشاء مؤسسات رسمية قادرة على ايجاد حلول مناسبة لأمثال تلك المشكلات يتم هذا عادة فى الظروف العادية التى يكون فيها الأمن مستتبا، لكن الظروف الأمنية فى العلا القديمة مضطربة، إن عدم وجود حكومة قوية تفرض الأمن وتحافظ عليه وتنظمه ليس فقط فى العلا ولكن فى عموم الجزيرة العربية أدى إلى غياب

المؤسسات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية التى تعمل على ايجاد حلول مناسبة للعديد من المشكلات التى كانت تواجه السكان آنذاك . هذا الوضع ليس مقتصرا فقط على العلا فى تلك الفترة، وإنما هذا هو واقع الحال فى معظم أرجاء الجزيرة العربية، لذا فقد قام سكان العلا القديمة بتأمين أمنهم وتنشيط اقتصادهم من خلال تماسكهم وترابطهم وتلاحمهم فى مجالس المقاهى التى أنشأوها لتأدية تلك الأغراض، كما أنهم عززوا ذلك التماسك والتعاون فيما بينهم بواسطة تدارس جميع المشكلات الاجتماعية التى كانت تواجه السكان فى مجالس المقاهى العشائرية والتى كانت نتائجها ايجابية، لقد برزت أدوار المقاهى واسهاماتها فى العديد من المجالات الاجتماعية التى كان يتم بحثها فى بعض مقاهى العشائر نذكر منها المجالات التالية:

١- التعاون فى اخماد الفتن التى تنشأ بين السكان .

٢- التعاون فى اصلاح ذات البين .

٣- التعاون فى حل المشكلات التى تنشب بين المتخاصمين .

٤- التعاون فى مساعدة المحتاجين من أفراد العشيرة أو العشائر الأخرى .

٥- التعاون فى الاعداد لإقامة حفلات الزواج .

٦- الاحتفال بالأعياد والمناسبات وصلاة الاستسقاء .

٧- التعاون فى الحد من غلاء المهور .

٨- التعاون فـى عقـد اللقـاءات الاجتماعيـة والترفيهيـة بـين أفـراد العشـيرة الواحدة .

٩- التعاون فى اقراء الضيوف .

١٠- التعاون فى وضع الانظمة والقوانين التى تحد من سرقات المنازل والتعدى على المزارع ليلا أو نهارا (المحفوظ ، ص٦٧-٧٢) .

وللمقاهى أدوار أخرى ظهرت فى الدفاع عن العـلا ضـد الغـزو الـذى كـان محتملا من ابن الرشيد (حاكم امارة حائل) إثر مقتل حاكمه على العلا فى عام ١٣٠٧هـ ، إن دور القهوة ظهر أيضـا علـى المجـال السياسـى والـذى أدى فـى النهاية إلى اخراج العلا نهائيا من حكم ابن الرشيد الذى لم يعـد للعـلا مطلقـا بعد ذلك التاريخ (المحفوظ، ص ١٠١) .

نشأة وتطور إعداد مقاهى العشائر القديمة فى العلا :

إن البحث فى متى نشأت أول قهوة للعشيرة فى العلا القديمة أمر تصعب الإجابة عليه بكل دقة، ذلك بسـبب قلـة المعلومـات المتوفـرة عـن تلـك الفـترة القديمة التى شهدت نشوء تلك المقاهى، إن كل المؤشرات تـدل علـى أن تـاريخ نشأة أول مقهى من ذلك النوع ضارب فى القـدم، ومـن الصعـب تحديـد تـاريخ معين لنشأة أول مقـهى فـى العـلا القديمـة (الديـرة)، لكـن يبـدو أنـه مرتبـط بانتشار عادة شرب القهوة فى الجزيرة العربية قبـل القـرن العاشـر الهجـرى (لمير، ص٥-٦)، من دون شك فإن بعض العوامل، خاصة الحالة الأمنيـة التـى

عاشها سكان العلا ردحا من الزمن قبل انضمام العلا لسلطة الملك عبدالعزيز، رحمه الله فى عام ١٣٤٤هـ ، لعبت دورا أساسيا فى نشأة القهوة فى مدينة العلا قديما .

ويبدو أنه كلما تفاقمت مشكلة الأمن برزت الحاجة بشدة لزيادة اعداد مثل هذه المقاهى لتحتوى الاجتماعات المتعددة الأمنية الهادفة الى ايجاد الحل المناسب لتوفير الأمن للسكان، أحيانا تتحسن الأحوال الأمنية فتقل الحاجة للاجتماعات فى تلك المقاهى وتقل معها بالتالى أهمية تلك المقاهى العشائرية، كذلك أدت ممارسة حرفة الزراعة المروية من العيون الجارية إلى زيادة الحاجة لتلك (المقاهى) من أجل الاجتماعات، للتعاون فى استخراج العيون، وإدارة موارد المياه، وحل مشاكل العمل والعمال، كما أن دور المقاهى فى ايجاد حلول للمشاكل، الاجتماعية لعب هو الآخر دورا هاما فى نشأة المقاهى فى العلا القديمة .

ومع ذلك، فان أول من أشار الى وجود هذه المقاهى فى العلا القديمة، هو الرحالة الانجليزى تشارلز دوتى (CHARLES DOUGHTY) هذا الرحالة زار العلا القديمة فى الفترة من ٢٧ ديسمبر ١٨٧٦م إلى ٦ يناير ١٨٧٧م الموافقة ١١ إلى ٢١ ذى الحجة ١٢٩٣هـ ، فقد ذكر بأنه قد تجول لوحده فى اسواق العلا القديمة، وأحصى عدد المقاهى فيها، فوجد أربعا وعشرين قهوة، وذكر هذا الرحالة بأنه كان يهتدى إلى وجود المقاهى بواسطة دقات النجر وهو

الهوند المعروف، وأنه كان يدخل الى أى قهوة يسمع فيها رنين الهونـد، كمـا كان يستدل على وجود مكان القهوة بواسطة الأحذيـة الكثـيرة عنـد الأبـواب، فأبواب المقاهى تفتح مباشرة على طرقات البلدة، كذلك أشار إلى أن تلك المقاهى كانت مفتوحة حتى للغرباء ومنهم البـدو الذيـن يتسـوقون فـى العـلا القديمـة . (DOUGHTY, P.147)

قبل قرن وربع من الزمان تقريبـا، كـان يوجـد فـى العـلا اربـع وعشـرون قهوة، حسب تقرير هذا الرحالة، واذا اعتبرنا انـه غريـب فـى هـذه البلـدة، يجهل كثيرا أزقتها الضيقة والمتعرجة، فانه يفـترض - والحالـة هـذه - بـأن اعدادا اخرى من المقاهى موجودة أيضا فـى اسـواق أخـرى لم يصـل اليـها هـذا الغريب فى تجواله، لجهله بتلك الطرقات، أو لأنـه لم يسـمع صـوت الهونـد الصـادر عنـها، ويحتمـل أن أعـدادا أخـرى مـن المقـاهى لم تدخـل ضمـن هـذه الاحصائية، اذا هذه الاحصائيـة، التـى أوردهـا دوتـى (DOUGHTY) تعتـبر غير دقيقة، ومع ذلك لا يمكـن تعديلـها لطـول الفـترة الزمنيـة ولعـدم وجـود معلومات أخرى بديلة عنها، كما أنه لا يوجد من الأحياء من عاصرها .

وأثنـاء الدراسـة الميدانيـة فـى العـلا فـى الفـترة مـن ١٤١٩/٣/١٤هـ إلى ١٤١٩/٥/١٥هـ وخلال المقابلات الشخصية مع عدد من الرجال المعمرين الثقـاة الذين عاصروا بعضا من تلك المقاهى قبل عام ١٣٤٤هـ تم إحصاء أربعة وأربعين مقهى أو مجلسا منتشرا فى أنحاء مختلفة فى طرقات العـلا ورحابـها، أى أن

أعداد المقاهى فى العلا قد زادت تسعة عشر مقهى تقريبا بين عامى ١٢٩٣هـ و١٣٤٤هـ ، وهى الفترة التى أعقبت زيارة دوتى (DOUGHTY) للعلا وحتى عام ١٣٤٤هـ. وقد بلغت نسبة الزيادة (٧٩,٢٪) خلال الفترة المذكورة، كما بلغ معدل الزيادة مقهى واحدا كل ٢,٦ سنة، تقريبا، إن انضمام العلا لسلطة الملك عبدالعزيز رحمه الله فى عام ١٣٤٤هـ، أدى الى استتباب الأمن، وأنشأت مؤسسات حكومية متعددة أخذت على عاتقها القيام بكل الوظائف التى كانت تقوم بها مقاهى العشائر فى العلا القديمة، ولم يعد لمثل هذا المقهى العشائرى القديم من دور يلعبه كما كان الوضع قبل تأسيس المملكة العربية السعودية، وقبل انضمام العلا لها، وقبل استتباب الأمن فيها، بذلك يصبح عام ١٣٤٤هـ، هو العام الذى بدأت تختفى فيه مؤسسة القهوة فى العلا القديمة، وذلكم لزوال الأسباب بعد توحيد المملكة العربية السعودية .

المقهى كمركز مكانى للتلاحم البشرى بين أفراد العشيرة:

تتم جميع عناصر التلاحم البشرى السابقة، مكانيا فيما أطلق عليه السكان، محليا اسم (القهوة) يجتمع ذوى الرأى من أفراد كل عشيرة فى قهوة شيخ عشيرتهم للنقاش وتبادل الرأى فى كل ما يخص عناصر التلاحم البشرى فى العشيرة والعشائر الأخرى، وقد أصبحت قهوة العشيرة، هى مكان الحل والربط لكل شئون حياة العشيرة فى ظل غياب حكومة ترعى تلك الشئون وتجدر الاشارة الى أن قهوة العشيرة هى مكان التفاعل بين جميع عناصر

التلاحم العشائرى، ففى القهوة تناقش كل مشاكل العشيرة الاجتماعية والاقتصادية، وفى قهوة العشيرة تقنن وتنظم الترتيبات الأمنية، وفى قهوة العشيرة، تبحث المسائل الدفاعية والعلاقات مع إمارات الجوار، وتعقد فى قهوة العشيرة الاحلاف، والمعاهدات مع القبائل المجاورة (مقابلة شخصية مع ابن عيسى فى ١٤١٩/٣/١٤هـ) .

هذه الموضوعات لا يتم مناقشتها فى أى قهوة، فقيمة كل قهوة النسبية، تختلف من قهوة لأخرى، إن ارتفاع القيمة النسبية لأى مجلس، تعتمد على مكانة صاحب القهوة الاجتماعية والاقتصادية وطبقا للظروف السائدة فى العلا (الديرة) فى الماضى، كما تتأرجح بين المد والجزر حسب الحاجة التى يمليها واقع الحال، فى ذلك الوقت، ففى أوقات الأزمات والاضطرابات الأمنية، تزداد القيمة النسبية لبعض المقاهى، وتقل فى أوقات السلم واستتباب الأمن، هذا المعيار يمكن تطبيقه على كل عنصر من العناصر السابقة الذكر بتفاصيلها المتعددة .

وعلى العموم، يمكن تقسيم مقاهى العشائر فى العلا حسب أدوارها الوظيفية الى ثلاث فئات تزداد أهميتها تنازليا، من الفئة الثالثة تجاه الفئة الأولى، وهذه الفئات هى:

- الفئة الأولى: تشمل مقاهى (شيوخ المشايخ)[1] وهما، عادة شيخان :

---

(١) شيخ المشايخ هو شيخ عشيرة اختاره زملاؤه شيوخ العشائر القاطنين فى منطقته ليكون رئيسا أو شيخا ليدير جميع شئون منطقتهم فى مدينة العلا القديمة، وهو لا يتخذ قرارا الا بعد مناقشته والموافقة عليه أولا فى مقاهى شيوخ عشائر منطقته

١-احدهما يحكم ويدير الحى الشمالى من العلا (الشقيق) .

٢-والآخر يحكم ويدير الحى الجنوبى من العلا (الحلف) .

هذان الشيخان يتم اختيارهما لتولى هذه المناصب من قبل رؤساء عشائر كل حى من أحياء العلا، وقد يساعد كلا منهما شيخان آخران من كل حى .

- الفئة الثانية: تشمل مقاهى (شيوخ العشائر[1]) جدول رقم (١)، ويتم اختيار كل منهم، لتولى مشيخة العشيرة التى ينتمى اليها طبقا لمعايير متعارف عليها، بين العشائر القاطنة فى العلا، وتتوزع مقاهى هذه الفئة من شيوخ العشائر فى العلا القديمة طبقا لما يوضحه شكل رقم (٤) .

- الفئة الثالثة: تشمل أفراد العشائر المختلفة القادرين ماليا على تمويل فتح مقاهى خاصة بكل منهم، جدول (٢) ولهم مؤهلات اجتماعية مقبولة بين عشائرهم، وتتوزع مقاهى هذه الفئة طبقا لما يبينه شكل(٥) .

---

(١) شيخ العشيرة هو أحد أفراد العشيرة التى ينتمى اليها، يختاره ذوى الرأى من أفراد عشيرته لتقلد منصب شيخ العشيرة، وهو لا يتخذ قرارا إلا بعد مناقشته والموافقة عليه أولا من مقهى العشيرة .

جدول رقم (١) مقاهى شيوخ عشائر العلا قبل عام ١٣٤٤هـ[١]

م	اسم المقهى	اسم شيخ العشيرة[٢]
١	مقهى عشيرة البدير	الشيخ ربيع بن عمر بن بدير
٢	مقهى عشيرة التيامنة	الشيخ على بن محمد بن صالح الغيثى
٣	مقهى عشيرة القروق	الشيخ صالح بن احمد بن صالح
٤	مقهى عشيرة العواد	الشيخ محمد بن أحمد بن عتيق
٥	مقهى عشيرة اليسيرة	الشيخ بخيت بن محمد بن حويان
٦	مقهى عشيرة البدنة	الشيخ موسى بن سليمان ابو نجدى
٧	مقهى عشيرة الحمد	الشيخ سعيد بن احمد بن عبدالدائم
٨	مقهى عشيرة العلى	الشيخ على بن موسى بن سويرى
٩	مقهى عشيرة الزحوف	الشيخ عبدالرحمن بن حسين
١٠	مقهى عشيرة المحفوظ	الشيخ أحمد بن موسى
١١	مقهى عشيرة الوهيبة	الشيخ محمد بن موسى بن منصور
١٢	مقهى عشيرة السلامة	الشيخ دخيل الله ابا الحسن
١٣	مقهى عشيرة المحمد	الشيخ سالم بن ابراهيم بن عبدالله بن نوح
١٤	مقهى عشيرة القضاة	الشيخ سالم بن موسى القاضى
١٥	مقهى عشيرة النافع	الشيخ ابراهيم بن محمد بن ناصر

---

[١] من اعداد الباحث بناء على المعلومات، من رقم (١-٦) مصدرها (بن صقير وابن جمعه فى ١٤١٩/٥/١١هـ و١٤١٩/٥/١٥) على التوالى، ومن رقم (٧-١٥) مصدرها (ابن حسين، وابن نوح، فى ١٤١٩/٥/١٤هـ، و١٤١٩/٥/١٠هـ) على التوالى .

[٢] ان رئاسة العشيرة ليست وقفا على اسرة بذاتها فكثيرا ما تغيرت رئاسة معظم العشائر من اسرة الى اخرى داخل العشيرة الواحدة ويحدث ذلك التغيير طواعية لأى سبب من الأسباب، وأسماء رؤساء العشائر الواردة فى هذا الجدول مستمدة من الرواة (اعلاه) الذين عاصروهم أو سمعوا عن شهرتهم من الذين سبقوهم ولا تعنى بالضرورة استمراريتها فى نسلهم، كما أنها لا تعنى أيضا أنهم لا يزالوا على رأس تلك العشائر .

تباين أهمية مقاهى العشائر :

إن أهمية هذه المقاهى، تتفاوت من مقهى لآخر، تبعا لمكانة صاحب المقهى الاجتماعية وحسب الدور الذى يقوم به المقهى فى الهيكل التنظيمى لمقاهى العشائر، إذ تزداد الأهمية تنازليا من الفئة الثالثة تجاه الفئة الثانية والى الفئة الأولى، والعكس صحيح، فالفئة الثالثة تمثل مجموعة من الأفراد الذين لا يتقلدون أية مناصب فى رئاسة العشيرة فى الهيكل التنظيمى لمقاهى العشائر .

شكل (٤) التوزيع المكاني لمقاهي شوارع المشاتر في
المدن القديمة قبل عام ١٣٤٤هـ

المصدر من اعداد الباحث بناء على جدول رقم (١)

جدول (٢) مقاهى أفراد من العشائر وأسماء أصحابها فى العلا القديمة قبل عام ١٣٤٤هـ[١]

م	اسم صاحب المقهى	اسم عشيرة صاحب المقهى
١	عبدالغنى بن عمر بن بدير	عشيرة البدير
٢	محمد بن بدير	عشيرة البدير
٣	أحمد الحمد	عشيرة القروق
٤	على بن حسين أبو الغيث	عشيرة التهامنة
٥	عبدالله بن جبر	عشيرة القروق
٦	حمد بن فهد الشريف	عشيرة العواد
٧	أحمد بن عتيق	عشيرة العواد
٨	أحمد بن سالم نجدى	عشيرة البدنة
٩	أحمد بن محمد سرور	عشيرة البدنة
١٠	محمد بن عبدالله ناصيف (الهارون)	عشيرة اليسيرة
١١	ابراهيم بن عودة ناصيف	عشيرة اليسيرة
١٢	فرحان بن حمد فرحان	عشيرة البدنة
١٣	أحمد بن صالح أبو نياب	عشيرة البدنة
١٤	محمد بن سليمان صقير	عشيرة البدنة

---

(١) من اعداد الباحث بناء على المصادر التالية :

أ- المقاهى من رقم (١-١٥) مقابلات مع (ابن صقير، وابن جمعه فى ١٤١٩/٥/١١هـ) على التوالى ما عدا رقم (١١) فمصدره وثيقة مؤرخة فى ١٢٧٦هـ (القاضى، ص٢٩) .

ب- المقاهى من رقم (١٧-٢٤ ومن ٢٦-٢٩) فمصادرها (ابن حسين، وابن نوح فى ١٤١٩/٥/١٤هـ ، ١٤١٩/٥/١٠هـ) .

جـ- أرقام (١٦و٢٥) فمصدر الأول هو (الحداد فى ١٤١٩/١٠/١٢هـ) والأخر هو وثيقة مؤرخة فى ١٢٧٧هـ وحدد موقعها علوان فى (١٤١٩/١٠/٢٥هـ) .

١٥	جمعه بن عبيد الله	عشيرة البدنة
١٦	على بن موسى ياسين	عشيرة السلامة
١٧	سليم بن سلمان بن ماضى	عشيرة المحفوظ
١٨	عبدالله بن عبدالرحمن الامام	عشيرة العلى
١٩	عبدالرحمن بن عيسى	عشيرة الحمد
٢٠	موسى بن سليمان بن عبدالرحمن (أبو هرير)	عشيرة الوهيبة
٢١	على بن عبدالكريم	عشيرة المحفوظ
٢٢	سعد بن أحمد بن يوسف	عشيرة السلامة
٢٣	ابراهيم بن عودة الحجيرى	عشيرة السلامة
٢٤	بركات بن شويكان	عشيرة المحمد
٢٥	سالم بن محمد بن سلمان بن حسن علوان	عشيرة المحفوظ
٢٦	عبدالمجيد بن الامام	عشيرة القضاة
٢٧	عبدالرحمن بن عبدالله بن ظاهر بن نوح	عشيرة المحمد
٢٨	محمد بن سليمان الحليو	عشيرة النافع
٢٩	محمد بن ابراهيم بن ناصر	عشيرة النافع

شكل رقم (٥) التوزيع المكاني للقاضي أفراد من المشاشر في المدارس القديمة قبل عام ١٣٤٤هـ

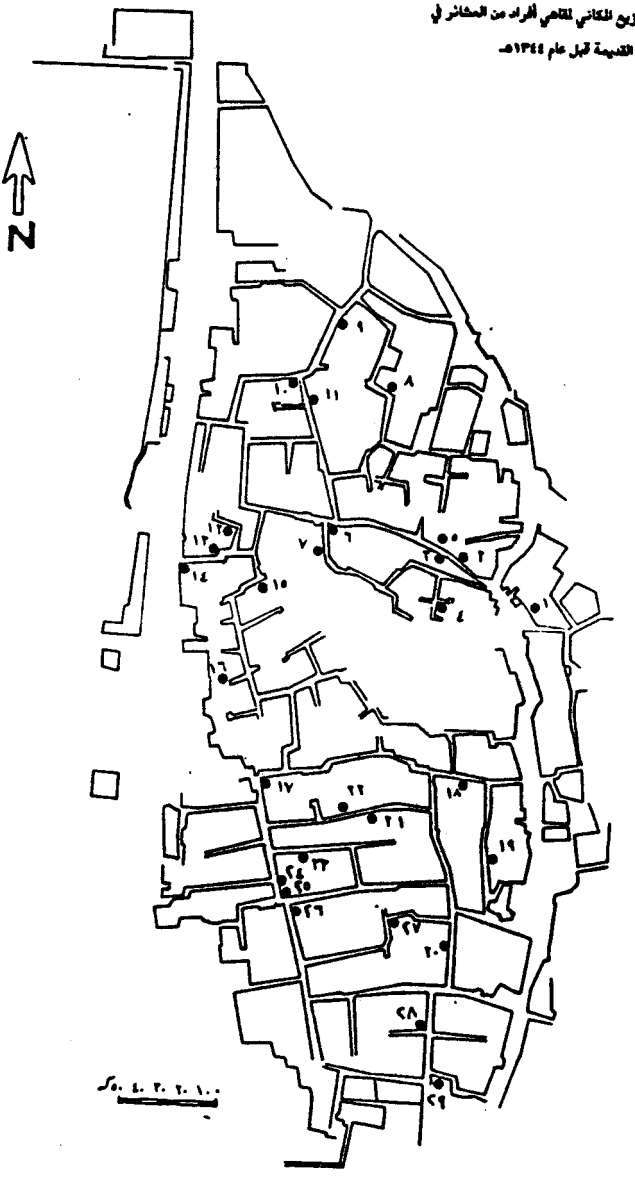

المصدر : من إعداد الباحث بناءا على جدول رقم (٣)

أو انهم كانوا قد تقلدوا مناصب فيما مضى ولكن آلت لغيرهم فى اختيار رئاسة العشيرة لأى سبب من الأسباب، واستمرت المقاهى مفتوحة على أساس فردى ليس له علاقة بتنظيم العشيرة، تبرز أدوار مثل هؤلاء الأفراد إما من خلال أرائهم السديدة التى تثرى المناقشات فى قهوة مجلس العشيرة، أو من خلال قدراتهم المادية أو الفكرية على العطاء فى المقاهى الفردية، وقد برزت مقاهى من هذه الفئة لم يكن أصحابها من شيوخ العشائر، وأسهمت حقا بطريقة أو أخرى فى تماسك مجتمع العلا اجتماعيا واقتصاديا مثل قهوة الشيخ ابراهيم بن عودة ناصيف والتى أسهمت مساهمة بارزة لا تنسى فىوضع تصور قانون جزاءات حدت كثيرا من سرقات المنازل والمتاجر والمزارع، سواء حدثت تلك السرقة فى الليل أو فى النهار، وبالطبع فإن مثل هذا الاسهام من هذه الفئة من المقاهى قليل الحدوث، لكن ربما تبرز أمثلة أخرى مشابهة لمقهى الشيخ ابراهيم ناصيف فى المستقبل .

أما الفئة الثانية من المقاهى، فهى مقاهى شيوخ العشائر - انظر جدول (١) هذه المقاهى تعد حقا الأكثر اسهاما فى تدارس أمور العشائر وبحث احتياجاتهم الذاتية ومناقشة مشاكلهم الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، وهى التى يقع على عاتق رؤسائها جميع الالتزامات للعشيرة، هذه المقاهى هى التى تشكل منها (الهيكل التنظيمى لمقاهى العشائر) والذى اشير اليه سابقا،

هذا الهيكل التنظيمى بترابطه المنطقى، نظم جميع شئون الحياة لسكان العلا عندما لم توجد حكومة مركزية ترعى شئون العلا قبل عام ١٣٤٤هـ .

ورغم تساوى هذه الفئة من المقاهى فى المهمات المناطة بها نظريا، إلا أن أهميتها عمليا تتفاوت أيضا من مقهى لآخر داخل هذه الفئة نفسها، وذلك حسب الوظائف التى يؤديها كل مقهى منها، إن بعض المقاهى من هذه الفئة، لها شهرة فى ايجاد حلول مناسبة لبعض القضايا الشائكة، مثل قضايا جرائم القتل، وقضايا الفصل فى الحقوق، وقضايا فض المنازعات، وقضايا الدخول فى الاحلاف القبلية، وقضايا بحث موضوعات ملحة، مثل غلاء المهور .. وغير ذلك مما يمكن أن تنعت بالقضايا (الشائكة أو المتفجرة)، وربما يعزى ميل بعض هذه المقاهى الى بحث مثل تلك الموضوعات الهامة، إلى شهرة بعض رؤساء العشائر، وحكمتهم فى معالجة بعض الأمور الشائكة، وسداد رأيهم فى ايجاد حلول لبعض القضايا الاجتماعية أو الاقتصايدة الملحة، ودبلوماسيتهم فى طرح بعض المشاكل للنقاش، إضافة إلى كرمهم وسرعة حسمهم لبعض الأمور بالطرق التى تجد فى الغالب قبولا لدى الآخرين، بينما مقاهى عشائرية أخرى من نفس الفئة، تتم فيها مداولات لوظائف أقل فى الرتبة وعادية فى موضوعاتها وغير متفجرة، مثل الاعداد للأفراح، والاحتفال فى المناسبات المختلفة، وإكرام الضيوف، ومساعدة المحتاجين من أفراد

العشيرة، إنها وظائف عادية كما ترى، يمكن أن تتم فى أى مقهى من مقـاهى العشائر او مقاهى الأفراد .

أما الفئة الأولى من المقاهى، فهى مقاهى شيوخ المشايخ، وهى أقرب الى أن تكون مقاه تنفيذية لما تم التوصل اليه فى مقاهى العشائر، وتناط بهذه المقاهى، بحث الأمور المصيرية المتعلقة بالترتيبات الأمنية، والدفاع عـن العـلا ضد أى اعتداء عليها، وتوقيع المعاهدات مع إمارات وقبائل الجوار والتى يستمد منـها السكان حماية لمصالحهم، وبالاضافـة الى هـذه المـهمام فـان إدارة شئون العـلا وحكمها يتم من خلال هذه المقاهى، إن وظائف مثل هذه المقـاهى تصنـف علـى أنها ذات مرتبة عالية أكثر مـن مجـالس العشـائر السـابقة الذكـر أو مجـالس الأفراد، وبالطبع لابد من الاشارة الى انه لم يتيسـر الاطـلاع علـى كـل الوثـائق التى كتبت فى تلك المقاهى، إنما تم الاطـلاع علـى عينـات منـها فقـط، وربمـا تظهر بعض الوثائق فى المسـتقبل والتـى ستساعد كثـيرا فـى اجـلاء الغمـوض المحيط ببعض أدوار تلك المقاهى .

اندثار مقاهى العشائر فى العلا القديمة :

لقد حدد عام ١٣٤٤هـ بداية النهايـة لمقـاهى العشـائر فـى العـلا القديمـة لعدة أسباب :-

السبب الأول: فى عام ١٣٤٤هـ، دخلت العلا تحت مظلة الحكم السـعوى (نصيف ١٤١٦هـ،ص٨٣) فانتشر الأمن، وهو من أهـم أسـباب نشـأة القـهوة،

وقد أقامت الدولة مؤسسات عديدة للقضاء، والأمن والشئون البلدية، والإدارة، والتعليم، والمالية، واحصاء النفوس (الاحوال المدنية)، والبرق والبريد، والأوقاف، وهيئة للعرف والزراعة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومفرزة للجيش، وإدارة للجمارك، ولو أن بعض هذه المؤسسات كانت موجودة أصلا قبل عام ١٣٤٤هـ، مثل إدارة الشرطة، والبرق والبريد، وإدارة التعليم، الا أن بعضا من هذه المؤسسات ألغيت، مثل الجيش، والجمارك، والمجلس البلدى، وهيئة العرف والزراعة (نصيف ١٤١٦هـ ، ص٨٧-٩٢) .

هذه المؤسسات يبدوا أنها حلت محل مجلس القهوة فى النظر فى الموضوعات التى كانت مناطة بمجلس القهوة القديم، وأصبحت هذه المؤسسات الحديثة أكثر تخصصا فى النظر فى مختلف الموضوعات، كما ان الدولة أصبحت تصرف رواتب مالية شهريا للموظفين الذين يعملون فى مختلف الإدارات الحكومية الحديثة، كذلك أصبحت هذه الإدارات الحكومية فى نظر الدولة، هى الجهات الرسمية الوحيدة المخول لها النظر فى القضايا ذات الاختصاص، وغيرها من المؤسسات الأهلية لا تعتبر جهات رسمية، ولذلك لا يعتد بها، ومن ضمنها المقاهى القديمة، وبذلك فقدت القهوة كل مبررات قيامها فى الماضى، ولم يصبح لها من دور تؤديه الأمر الذى أسهم بشكل رئيسى فى اندثارها .

السبب الثانى: انتشار الأمن الذى عم أرجاء المملكة العربية السعودية والذى ساهم للسماح بخروج سكان العلا القديمة من تلك البيوت الصغيرة مساحة والتى لا تتوفر فيها التهوية الكافية ولا الإضاءة الصحية، والاستيطان فى المخطط العمرانى الجديد المسمى (مخطط الصخيرات)، لقد تميزت قطع الأراضى السكنية فى هذا المخطط بكبر المساحة ٣٠×٣٠م واستقامة شوارعه واتساعها حيث تراوحت سعتها بين (٣٠م و ٢٠م و ١٥م) كما توفرت فى هذا المخطط جميع الخدمات المدنية من كهرباء وماء وهاتف وطرق مسفلتة وأرصفة وحدائق جميلة، كما أقيمت فى هذا المخطط جميع الإدارات الرسمية (المخطط الارشادى العام لمدينة العلا)، كذلك استخدم فى هذا المخطط الحديث مواد البناء الحديثة كالإسمنت والحديد والخشب والألمونيوم (ملاحظات شخصية خلال الدراسة الميدانية)، وانتقل السكان من منازلهم فى العلا القديمة إلى المنازل الحديثة التى بنيت فى هذا المخطط الجديد (الصخيرات) أو العلا الجديدة وبانتهاء انتقالهم إلى منطقة الصخيرات، أغلقت المقاهى القديمة أبوابها نهائيا ولم يعد لها من مبرر فى منطقة الصخيرات .

السبب الثالث: يتمثل فى أن معظم الرجال القادرين عل العمل من سكان العلا القديمة انخرطوا فى الوظائف الحكومية، وأصبحت كل أوقات فراغهم مشغولة إما بالوظائف أو بالعمل فى المزارع، وإن كان هناك متسع من الوقت فهو للراحة، ولو فرض أن أحد مشايخ العشائر تحمس وفتح مقهى له فلن

يجد من يرتاده فالكل منشغل إما بوظيفته أو بمزرعته أو طلبا للراحة فى منزله أو لدى اقاربه وأصدقائه، لذا فقدت القهوة دورها كمكان يتجمع فيه السكان لقضاء بعض من أوقات الفراغ ولمناقشة مصالحهم الأمنية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يعد لوجودها من مبرر فاندثرت نهائيا .

الخلاصة :

لقد خلصت الدراسة إلى أن سكان العلا القديمة قد واءموا أنفسهم مع ظروف بيئتهم وتواءموا معها، إن نشأة المقاهى القديمة فى العلا كانت إحدى نتائج هذه المواءمة بين الإنسان وظروف المكان الذى يعيش فيه، إذ أن غياب السلطة الحكومية القوية قديما فى العلا أدى إلى تكوين حالات من الخوف وعدم الأمان، وبالتالى شاع قانون الغاب حيث يعتدى القوى على الضعيف ويسلبه أملاكه، كما أن توفر وسائل المعيشة فى العلا دفع بالسكان منذ القدم إلى التمسك بالمكان لأنه شكل مصدر رزقهم، وبما أن السكان ينتمون إلى مجموعات صغيرة من العشائر التى قدمت واستوطنت العلا من أماكنها الأصلية البعيدة، لذا فقد كان الأمن هو الهاجس الأعظم للسكان، وبديهى أن يحتل الأمن الأولوية من بين إهتماماتهم، لذا فقد أصبح توفير الأمن هو الشغل الشاغل لجميع السكان . إن موضوع الأمن عولج أولا بمحاولة تكوين رابطة أمنية بين المجموعات السكانية من الأسر المستقرة فى العلا، ثم بواسطة تكوين مجموعة من العشائر التى تنحدر كل منها أبويا من نسل رجل واحد،

كما أنه سمح لبعض الأسر التى لا تنتمى أصلا لعشائر العلا، الدخول مع بعض العشائر بواسطة أحلاف موثقة تبين واجبات هذا الحليف الجديد تجاه العشيرة فى مقابل توفير الحماية له وتمكينه من العيش بسلام فى العلا، وهكذا تكونت فى العلا خمس عشرة عشيرة من مختلف القبائل العربية وامتزجت مع بعضها بالمصاهرة، وذابت الفروق فيما بينها مكونة مجتمعا متجانسا، يترابط مع بعضه فى الكثير من الآمال والآلام، وهكذا تمكن السكان من تكوين ما يسمى مجازا بالرابطة الأمنية، ولكى يتمكنوا من تفعيل هذه الرابطة وتيسير عملها، فقد اختاروا لكل عشيرة شيخا من بين أفراد العشيرة ليكون بذلك خمسة عشر شيخا فى مقابل خمس عشرة عشيرة، وكل شيخ كون لنفسه مجلسا سماه قهوة أوقهوة العشيرة مكونين بذلك خمسة عشر مقهى، هذه المقاهى هى المراكز المكانية للتلاحم بين أسر العشيرة الواحدة، تتبادل فيها العشائر الآراء فى كل ما يخص مصالحها الأمنية والاجتماعية والاقتصادية كما اتفقت مجموعة العشائر الخمس عشر على تكوين مجلسين احدهما لحى الحلف والآخر لحى الشقيق، وانتخبوا رئيسا لكل مجلس أو كما يسمونه (شيخ مشايخ)، يساعد كلا منهما شيخان يتم اختيارهما من قبل شيوخ كل حى، مكونين بذلك مجلسين مكونين من ستة أعضاء، يناط بهما الأمن والدفاع والحكم والإدارة لكل مدينة العلا القديمة، وما يتم تداوله فى مقاهى العشائر لا يصبح قابلا للتنفيذ، إلا بعد عرضه وتداوله والموافقة عليه

فى مجلس شيخ المشايخ فى كل من حى الحلف وحى الشقيق، وبالطبع لم يقتصر عدد مقاهى العشائر على شيوخ العشائر نفسها بل ان أفرادا من القادرين ذوى السمعة الحسنة والرأى السديد، كونوا لأنفسهم مقاه فردية وصل عددها فى نهاية عام ١٣٤٤هـ إلى تسع وعشرين مقهى، كان يتم فى هذه المقاهى تبادل الرأى والمشورة فى كل ما يخص سكان العلا من شئون اجتماعية إلى اقتصادية، لكن ما يتم الاتفاق عليه فى هذه المقاهى لا يعتبر ملزما إلا بعد عرضه على مقاهى العشائر التى يتبعها أولئك الأفراد، وكذلك مقاهى شيوخ المشايخ على الترتيب، والملفت للنظر أن كل القضايا التى تتم مناقشتها فى مقاهى العشائر يتم توثيقها فى محاضر يذكر فيها اسم صاحب القهوة والحضور فى الاجتماع والموضوع المدرج على جدول الأعمال، والقرار الذى تم التوصل إليه فى الجلسة، واسم من قام بتدوين المحضر، ويذيل بالتاريخ الذى تم فيه الاجتماع، ويكتب من المحضر نسختان أو ثلاث نسخ تحفظ كل منها لدى أحد المشايخ خشية الضياع أو التلف لعدم توفر آلات نسخ فى ذلك الوقت.

وفى الوقت الحاضر توجد أعداد من هذه الوثائق محفوظة لدى بعض أسر العلا العريقة، حتى قيل أن أسرة من الأسر لديها ما يفوق ثمانمائة وثيقة مخطوطة، فكم هى تلك الوثائق الأخرى المحفوظة أيضا لدى الأسر الأخرى، إن من يريد دراسة التاريخ الإجتماعى أو الاقتصادى أو السياسى للعلا

القديمة، لابد له من الإطلاع على تلك الوثائق، فهى المصادر الأولى للمعلومات عن تلك الفترة .

إن تطور نشأة مقاهى العلا القديمة وبلا شك تزامن مع ظروف انعدام الأمن، حيث يتزايد عمل المقاهى كلما ساء الأمن، ويتناقص عملها كلما تحسنت ظروف الأمن، فبينما كان عدد المقاهى فى عام ١٢٩٣هـ أربعا وعشرين قهوة، وجدنا أنها بلغت فى عام ١٣٤٤هـ أربع وأربعون قهوة وبعد ذلك التاريخ بدأت أعدادها فى التناقص وأغلقت أبواب معظمها بشكل تدريجى، ويقال أن إغلاق آخر قهوة فى العلا يرجع لعام ١٣٧٣هـ وذلك بسبب استتباب الأمن فى ظل سلطة الملك عبدالعزيز رحمه الله وإحلال مؤسسات الدولة محل قهوة العشيرة حتى أنه أصبح لا حاجة للقهوة فى ظل الظروف الحالية التى يعيشها سكان العلا، وعلى الرغم من اختفاء قهوة العشيرة بعد عام ١٣٧٣هـ إلا أن دورها ظل على ما يبدو مستمرا فيما سمى أخيرا بالمجلس البلدى، والذى يتكون من أربعة أعضاء منتخبين برئاسة رئيس البلدية آنذاك، ولو انه لا يعرف متى أسس هذا المجلس إلا أن آخر مجلس بلدى تم انتخابه كان فى بداية شهر جمادى الثانية لعام ١٣٨٤هـ، وبعده استحدث المجلس الإدارى والذى يتكون من سبعة أعضاء يرأسهم أمير العلا، إن من مهام المجلس النظر فى بعض الأمور المتعلقة بشئون البلدة واختيار رئيس للبلدية، وامراء للقبائل

التابعة للعلا، وقد ذكر أن آخر انتخاب للمجلس البلدى تم فى شعبان عام ١٣٩٨هـ ، لكن هذا المجلس تم الغاؤه فى عام ١٤٠٦هـ .

وعلى العموم، فإن مقاهى العشائر فى العلا القديمة، أدت أدوارا رائدة فى مضمار رعاية مصالح العشائر، إذ أن ما قدمته من مشورة فى مختلف الموضوعات التى نوقشت فى الماضى فى مجالس المقاهى كانت هامة ورائعة، أما كيف اندثرت هذه المقاهى ولماذا وأسئلة أخرى .. فربما تحتاج الاجابة عليها إلى دراسات جادة وتفصيلية فى المستقبل، ولعل مثل تلك الأبحاث تكشف النقاب عن الكثير من التفاصيل الأخرى عن تلك المقاهى القديمة وتبين أسبابها.

إن المعلومات المتوفرة حاليا قد لا تسعفنا فى الوقت الحاضر لإجراء مثل تلك الأبحاث ولعل بحثنا هذا يكون حافزا لأولئك الباحثين المهتمين بمثل هذه المقاهى القديمة لاجراء دراسات أخرى مستفيضة تجيب على الكثير من الأسئلة والتى ليست لها اجابة شافية فى وقتنا الحاضر، وفى النهاية فإن مقاهى العلا القديمة تعتبر إرثا حضاريا نعتز به ونفخر بانجازاته .

والله من وراء القصد ...

المراجع :

- الإمام صالح أحمد عبدالرحمن (د.ت)، العلا: عادات، تقاليد، حضارة، تاريخ مطابع بحر العلوم، الرياض .
- البستاني، فؤاد إفرام (١٩٧٤م)، منجد الطلاب، دار المشرق: المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان .
- الثنيان، محمد ثنيان (١٤٠٩هـ)، "المؤرخ ابن بسام (١٢٧٠-١٣٤٦هـ): هويته العلمية وجذورها الاولى فى ضوء نصوص جديدة أو منسية" مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية المجلد الثانى، ص٧١-١٢٧.
- الجوهرى، يسرى (١٤٠٧هـ) "مضمون الجغرافية الإجتماعية وفلسفتها" (فى) الصنيع، عبدالله على (محرر)، (١٤٠٧هـ)، قراءات فى الجغرافية الإجتماعية التطبيقية، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة .
- الريحانى، امين (١٩٦٠م)، ملوك العرب، الجزء الثانى، دار الريحانى للطباعة والنشر، بيروت .
- الشرق الأوسط (١٩٧٧م)، العدد ١٥٥٣، الثلاثاء، ٢٥ نوفمبر .
- عبدالكريم، أحمد عبدالله أحمد على (١٤١٤هـ)، هذه هى العلا بين الماضى والحاضر (مراجعة واخراج محمد سعد الحجيرى)، الجمعية التعاونية المتعددة الأغراض بالعلا، الرياض .

- عطاالله، سمير (١٤١٨هـ)، "كرسى على النيل"، صحيفة الشرق الأوسط، المجلد العشرون، العدد (٦٩٦٥)، الثلاثاء ٢٣ شعبان .

- الغيثى، احمد على (١٤١٢هـ)، نشرة خطية، العلا، جمادى الثانية .

- القاضى، محمد عبدالله (١٤١٤هـ)، عشيرة القضاة بالعلا، الرياض .

- ليمير، جيرار جورج (١٩٩١م)، مقاهى الشرق (ترجمة محمد عبدالمنعم جلال) كتاب اليوم، العدد ٣٢٠، ابريل، جمهورية مصر العربية .

- المحفوظ، ابراهيم سلمان (١٤١٩هـ)، التنوع الوظيفى والانتشار المكانى لمجالس العشائر فى العلا القديمة: دراسة فى الجغرافية الإجتماعية، الندوة الجغرافية السادسة للأقسام الجغرافية بجامعات المملكة العربية السعودية، بالتنسيق مع الجمعية الجغرافية السعودية، (الثلاثاء) ١٤- الخميس ١٦ ذو القعدة، ١٤١٩هـ، الموافق ٤ مارس ١٩٩٩م) .

- مصطفى، ابراهيم وزملاؤه (د.ت)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: المكتبة العلمية، طهران .

- نصيف، عبدالله بن آدم بن صالح (١٤١٦هـ)، العلا: دراسة فى التراث الحضارى والإجتماعى، الرياض .

الخرائط :

- إدارة الآثار والمتاحف (١٣٩٨هـ)، مخطط موقع الديرة، مدينة العلا القديمة، مقياس رسم (١ : ١٠٠٠م)،لوحة رقم(١)،وزارة المعارف، ٣ جمادى الثانية .

- بلدية العلا (د.ت)، المخطط الارشادى العام لمدينة العلا، (مقياس رسم ١: ١٠٠٠٠م) امانة المدينة المنورة .

- مكى، محمد شوقى بن ابراهيم (١٤٠٥هـ)، أطلس المدينة المنورة، لجنة الأطلس الوطنى، قسم الجغرافيا، جامعة الملك سعود، الرياض .

Beeley, B.W. (1970), "The Turkish Village Coffee House as a Social Institution", Geographical Review, Vol. 60,No. (1), PP.475-493 .

Doghty, C. (1926), Travels in Arbaia Deserta, Jonathan Cape LTD & The Medici Society LTD, London .

المقابلات :

اسم العائلة	الأسماء الأخرى	تاريخ المقابلة	المكان
ابن جمعه	سالم بن سليمان	١٤١٩/٥/١٥هـ	العلا
ابن حسين	ابراهيم بن موسى (رحمه الله)	١٤١٩/٥/١٤هـ	العلا
ابن صقير	موسى‌بن محمد بن موسى	١٠-١٤١٩/٥/١٤هـ	العلا
ابن عيسى	عبدالرحمن بن على (رحمه الله)	١٤١٩/٣/١٤هـ ١٤١٩/٨/٢٢هـ	جدة
ابن ناصر	ابراهيم بن محمد (اتصال هاتفى)	١٤١٩/١٠/٢٥هـ	المدينة المنورة
ابن نوح	عبدالقادر بن عبدالرحمن	١٢-١٤١٩/٥/١٤هـ	العلا
الحداد	صالح بن محمد	١٤١٩/١٠/١٢هـ	جدة
الحربى	نواف بن محمد بن عبدالدايم (اتصال هاتفى)	١٤١٩/٨/٢٤هـ	الرياض
علوان	عمر بن على (اتصال هاتفى)	١٤١٩/١٠/٢٥هـ	العلا
الغيثى	أحمد بن على	١٤١٩/٥/١٣هـ	العلا